منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها

للأستاذ سعيد الديوه جي

— ٢ —

٥ — كرسى المختار وتخت يزيد : ثار « المختار الثقفى » على الدولة الأموية باسم محمد بن الحنفية ليجعل لدعوته صبغة دينية وهى الدعوة لآل البيت ، وأنكر ابن الحنفية أمره ، ولكن (المختار) من دهاة ثقيف ، فإنه لما وجد تثاقلاً من جيشه لحرب عبيد الله بن زياد أتى بكرسى وادعى أنه من مخلفات الإمام على ، وأنه بمنزلة التابوت فى بنى إسرائيل لا يحمله جيش إلا كتب له به النصر . فكساه بالديباج وسلمه إلى إبراهيم بن الأشتر قائد جيشه وانتصر الجيش على (ابن زياد) وقتله ودخل ابن الأشتر الموصل . فحركة المختار ظاهرها لآل البيت وحقيقتها دعوة باطلة له . ووضع اليزيدية مقابل هذا الكرسى تخت يزيد وهو من المشاهد المقدسة عندهم يجلس عليه أميرهم ، وأمر التخت عندهم كأمر الكرسى عند أتباع المختار

٦ — وجاء فى كتابهم المقدس : (مصحف رش[1]) قصة طريفة تؤيد ما ذهبنا إليه ، وهو عداؤهم لآل البيت وتأييدهم للحزب الأموى وهى : « ولنعد الآن إلى محمد بن الاسماعيليين فكان عنده خادم اسمه معاوية ؛ فنظر الله إلى محمد فرآه لا يسلك باستقامة فأوجع رأسه . فقال محمد لمعاوية : تعال احلق رأسى لتعاطى معاوية التزيين ، فأتى معاوية وحلق رأس محمد بخفة فجرحه وجرى منه دم كثير . فلما رأى معاوية الدم لحسه بلسانه خوفاً لئلا يقع على الأرض ، فقال له محمد : ما ذا صنعت يا معاوية ؟ أجاب : إنى لحسته بلسانى خوفاً لئلا يقع على الأرض . فقال محمد : لقد أخطأت بذلك فإنك تجذب وراءك أمة عظيمة وتتخاصم مع أمتى . فقال معاوية : لا أتزوج ولا أقع فى العالم قط . ثم بعد زمان سلط الله على معاوية عقارب فلدغته ورشت سمها عليه . فلما رآه

(١) النصوص التى ننقلها من كتابهم المقدس « مصحف رش » و « الجلوة » نتركها على علاتها

الأطباء جزموا عليه بالزواج وأتوه بامرأة يربى عمرها على الثمانين كى لا تحبل . فلما عرفها معاوية أصبحت فى الغد ابنة خمسة عشرة سنة وذلك بقدرة الإله . فحبلت وولدت إلهنا الذى يسمى « يزيداً » وهذا قول صريح من كتابهم المقدس أنهم أعداء لآل بيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كما أن نسب أمرائهم ينتهى إلى « يزيد بن معاوية » فلم يبق شك فى أن أصل حركة اليزيدية كانت حركة لمناصرة بنى أمية والدفاع عن حقهم فى الخلافة ومناوأة « آل البيت » الذين خاصمهم الأمويون على الخلافة منذ صدر الإسلام

والسبب الذى جعل الجبال القريبة من الموصل مركزاً لهذه الطائفة هو : أن الموصل كانت مدينة أموية منذ الحكم الأموى . واهتم بها الأمويون اهتماماً كبيراً ، فوسعوها وسكنها جالية منهم وكانوا كثيراً ما يولون عليها أميراً من البيت الأموى . وممن تولاها : « سعيد بن عبدالملك ، والحر بن يوسف ، ومروان بن محمد » كما سكنها الخليفة « هشام » قبل أن يلى الخلافة وبنى له قصراً فخماً فى ربضها الأسفل وغرس بها النخيل والبساتين . « والحر » صاحب « قصر المنقوشة » كان يملك القرى المجاورة لجبل « مقلوب » وهو أحد مراكز اليزيدية اليوم . وأن « ابراهيم الامام » منظم الدعوة العباسية كان يعرف حب أهل الموصل للأمويين ولذلك أوصى « أبا مسلم الخراسانى » ألا يعتمد عليهم . وذكر « أبو زكريا الأزدى » مؤرخ الموصل وقاضيها فى القرن الرابع الهجرى أن الموصل بقيت أموية فى الحكم العباسى ، ولهذا فتك بها العباسيون وقتلوا من أهلها ثلاثين ألف رجل سنة ١٣٣ هـ . وبعد سقوط الدولة الأموية فر كثير من الأمويين وموالهم إلى الجبال المجاورة للموصل ، ومن هذه الجبال جبلاً « مقلوب ، ولالش » أو « الهكارية » وأثروا على الأكراد الساكنين فى هذه الأماكن وجعلوهم يميلون إلى بنى أمية . ومما زاد فى تأييد هذه الطائفة أن الموصل والجزيرة كانتا من مراكز الخوارج « الحرورية » وهم يحاربون كل حاكم ، واستمرت حركتهم إلى القرن الثالث الهجرى . وكانوا كلما ضاقت عليهم الأرض لجأوا إلى الجبال المجاورة . ولا شك أنهم كانوا يلاقون ارتياحاً من الحزب

الأموى الساكن فى هذه الجبال ، ونشروا مذهب الخوارج بين الأكراد ، كما أنه تأسست (الدولة الحمدانية) فى القرن الثالث الهجرى فى الموصل . وكان أمراؤها يميلون إلى آل البيت وحاولوا نشر المذهب الشيعى فى الموصل فلقى قبولاً عند البعض وإعراضاً من الآخرين . وحدثت ثورات فى الموصل بسبب ذلك كانت بلا شك من تأثير الحزب الأموى . ثم جاءت بعدها الدولة العقيلية ، وكان أمراؤها متعصبين للمذهب الشيعى ، ولاقت مقاومة كذلك فى الموصل . كل هذه الأمور كانت تجعل العداوة مستمرة بين الحزبين العلوى والأموى ، واستمرت هذه العداوة فى تزايد حتى القرن السادس الهجرى ومجىء الشيخ عدى إليهم . فتحولت دعوتهم إلى طريقة صوفية عدوية

الدور الثانى

الشيخ عدى وتحول الحركة إلى طريقة « عدوية »

الشيخ عدى بن مسافر الأموى : يرجع نسبه إلى مروان ابن الحكم . ولد فى بيت فار من أعمال بعلبك ، وهاجر إلى الموصل وسكنها . ثم انتقل إلى جبال الهكارية ولزم طريق المجاهدة والخلوة والانقطاع عن الناس ، وكان ينتقل فى البرارى والقفار ويقتات من النبات

ثم بنى زاويته المشهورة فى جبل « لالش » وعكف عليه أهل تلك الديار لعلمه وصلاحه وانقطاعه إلى الله عز وجل . ولا شك أن صلة النسب بينه وبينهم كانت من أقوى الأسباب التى جعلتهم يرتاحون له . ولكن هذا الشيخ لم يكن من الذين تغرهم الدنيا ، بل نراه سلك بأتباعه طريق الرشد والصلاح وخفف من غلوائهم وعداوتهم لآل البيت . أما زهده فقد قال عنه الشيخ عبد القادر الكيلانى : « لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدى بن مسافر » ولعدى عدة رسائل فى العقائد والتوحيد وهى مؤيدة بالكتاب والسنة ، منها رسالة خطية فى مكتبة « مدرسة الحجّيات » فى الموصل ، وهى من خيرة الرسائل التى ألفت فى هذا الباب ، سلك بها سبيل السلف الصالح ، ونراه يندد بالفرق الإسلامية الغالية كالقدرية والمجسمة ويرد عليهم فيقول فيها : « ونؤمن بما ورد فى الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم أن الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شىء منها ، فإن كل ما تمثل فى الوهم فهو مقدره قطعاً وخالقه . وهذا الذى اندرج عليه السلف قبل ظهور الأهواء وتشعب الآراء . فلما ظهرت البدع وانتشر فى الناس التشبيه والتعطيل فزع أهل الحق إلى التأويل وتقرير مذهب السلف كما جاء من غير تمثيل ولا تكييف ولا تشبيه ولا حمل على ظاهر الخ . ويقول فى القدرية واعتقادهم أن الشيطان خالق الشر : « وخلق تعالى إبليس عليه اللعنة وليس إليه من الضلالة شىء قال تعالى : « واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً . وقوله تعالى : إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك منهم من الغاوين ، وإن جهنم لموعدهم أجمعين » ، لأنهم فتكوا فى الكفر فجعلوا إرادة إبليس لعنه الله وأنفسهم أقوى من إرادة الله تعالى . أراد الملعون إبليس المعصية فوجدت ، وأراد الله ألا تكون فكانت ، فجعلوا إبليس الملعون وأنفسهم أقوى من إرادة الله . والقائل بهذه المقالة تكذيبه بقوله تعالى : إن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله . الخ ...

أما اعتقاده بالصحابة الكرام فهو يرى أن الأفضل هم الخلفاء الراشدون حسب ترتيبهم فى الخلافة ، ويرد على من يقدم الإمام علياً على الثلاثة السابقين . ويقول عن معاوية : (إن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه خال المؤمنين ، رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب وحى الله تعالى ، أمين الله على وحيه ، شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ومات وهو عنه راض)

(للكلام صلة)

سعيد الديوه جى